سلسلة

٤

من علماء الإسلام

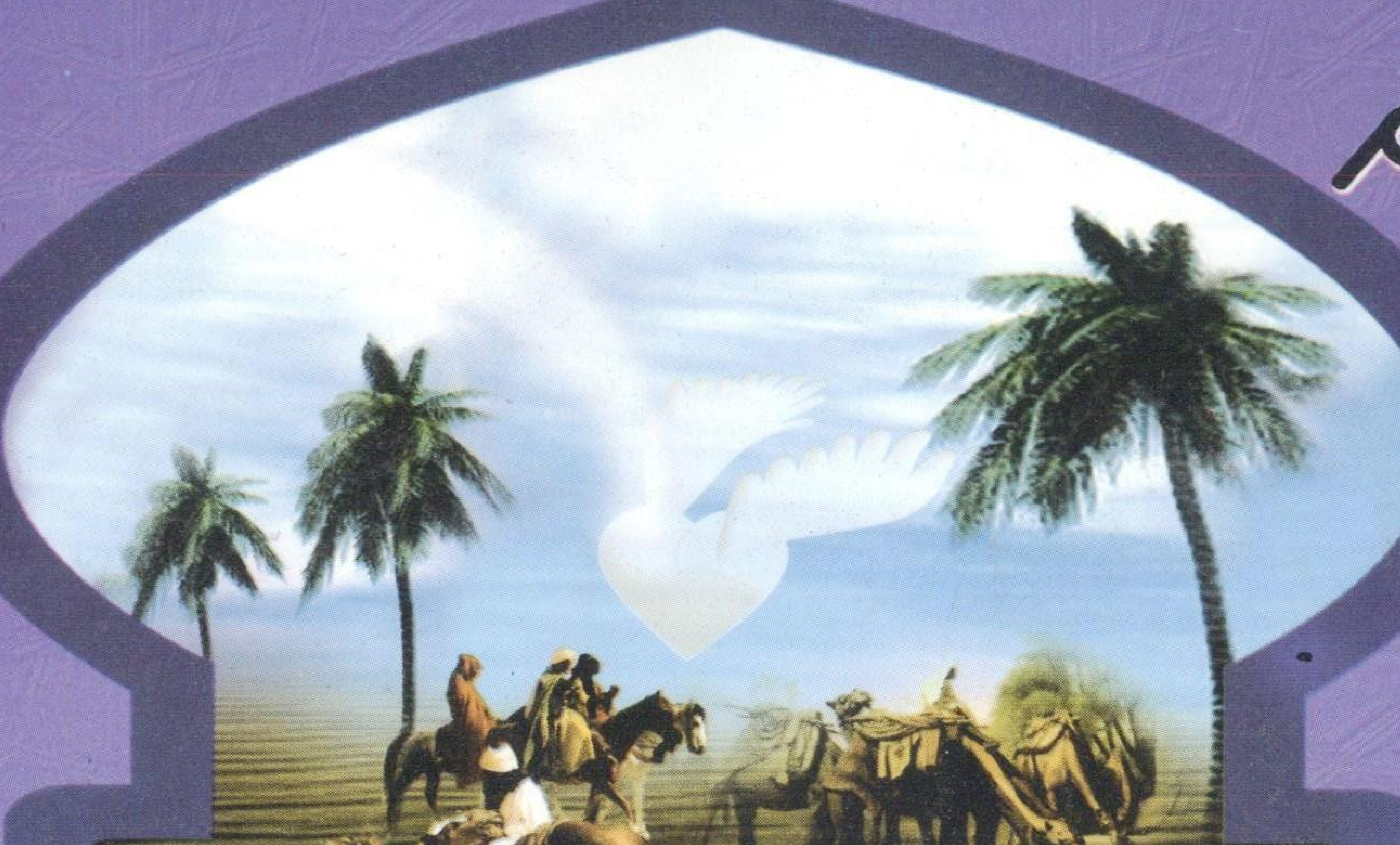

تأليف

إيهاب سعيد النجمي
أحمد سعيد النجمي

الإمام ابن حزم

(الفقيه الأندلسي)

للطباعة والنشر و التوزيع

سلسلة من علماء الإسلام

٤

الإمام ابن حزم

(الفقيه الأندلسي)

تأليف

إيهاب سعيد النجمي
أحمد سعيد النجمي

اجتمعت الأسرة على إفطار آخر يوم في شهر رمضان ذلك الشهر المعظم المبارك ، وبعد الإفطار استعدَّ الجميع لصلاة العشاء .

أُذِّن لصلاة العشاء ، فخرج الوالد إلى الصلاة في المسجد وقامت فداء لتصلي مع والدتها .

عاد الوالد بعد الانتهاء من الصلاة إلى البيت ليجد " فداء " ووالدتها قد انتهيتا من الصلاة أيضًا .

أخذت الأسرة تستعد لاستقبال يوم العيد وفداء فرحةٌ مسرورة تُعِدُّ ملابسها الجديدة التي اشتراها لها والدها بمناسبة العيد ، ولما انتهت فداء مما هي مشغولة به جلست جوار والدها و والدتها .

وبينما هم يتبادلون الحديث ، قال الوالد : أتدريان بماذا تذكرني هذه الليلة المباركة ؟

ردت فداء : بمَ تذكرك يا والدي ؟

الوالد : تذكرني تلك الليلة المباركة بعالم جليل من علماء الإسلام عالمٍ قضى عمره وحياته في الاشتغال بطلب العلم والاجتهاد فيه ... حتى بلغ في ذلك مبلغًا عظيمًا ، فطبقت شهرته الآفاق وذاع صيته شرقًا وغربًا وظل اسمه يتردد في جنبات الدنيا وأرجائها إلى يومنا هذا بفضل ما تركه من مؤلفاتٍ وكتبٍ ومصنفاتٍ غنية

بالعلم وثرية [١] بالاجتهاد .

فداء : يا لها من ليلة مباركة حقًا ، ومن بركتها أن وُلِدَ فيها هذا العالم الجليل زدني من قصته وسيرته يا أبي ..

الوالد : ولد الإمام ابن حزم الأندلسي - كما أخبرتك الآن يا فداء - في ليلة عيد الفطر المبارك ، في صباح يوم العيد من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة هجرية (٣٨٤هـ) ... وفي صبيحة يوم العيد اعتاد المسلمون في بلاد الأندلس - تلك البلاد التي ولد فيها ابن حزم - اعتادوا مثل باقي المسلمين في باقي الأزمنة والأمكنة أن يخرجوا ليهنئ بعضهم بعضًا بمناسبة العيد .

---

(١) ثرية : غنية

وبينما قصر الوزير أحمد بن سعيد والد ابن حزم مشغول بالمولود الجديد وَفَرِحٌ به أقبل الكثير من أقرباء الوزير وأصدقائه ليهنئوه بهاتين المناسبتين السعيدتين . مناسبةِ عيد الفطر المبارك ، ومناسبةِ قدوم المولود الجديد .

وبينا الجميع جالسون يتجاذبون أطراف الحديث ؛ سأل أحد الحضور عن اسم المولود ، فأجاب الوزير والسعادة تملأ قلبه والفرح يلوح على وجهه : اسمه

عليٌّ .. عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم .

فاستحسن الحاضرون الاسم ودعوا للوزير ولمولوده الجديد بالدعاء المأثور عن النبي ﷺ في مثل هذا الموقف فقالوا :

بورك في الموهوب وشكرت الواهب ورزقت بره وبلغ أشده

مرت الأيام وصار المولود الرضيع صبيًا يجري ويلعب في أنحاء القصر

وحدائقه الغناء المحيطة به إلا أنه لم يكن يتجاوز سور القصر ولم يكن يعرف ما بخارجه .... وكان لا يعرف غير نساء القصر وجواريه وصواحب أمه ، وكان لأمه وصواحبها وجواري قصرها الأثر الكبير في حياته وتكوين شخصيته العلمية والخلقية فقد تعهدنه بحفظ القرآن الكريم حتى حفظه كاملاً .

وكنّ ينشدن الشعر العذب الجميل أمامه ويُحفِّظنه إياه وكذلك كن يحكين له من التاريخ ، والسير ، وقصص الأولين والآخرين الشيء الكثير مما أكسبه شيئًا عظيمًا من المعرفة والعلم .

لم يتجاوز ابن حزم سن الخامسة عشرة من العمر حتى كان حفظ القرآن الكريم وقدرًا كبيرًا من الشعر .

وهنا رأى والده الوزير أن يدفع به إلى أحد علماء " قرطبة " تلك المدينة الأندلسية العظيمة التي ولد بها ابن حزم .

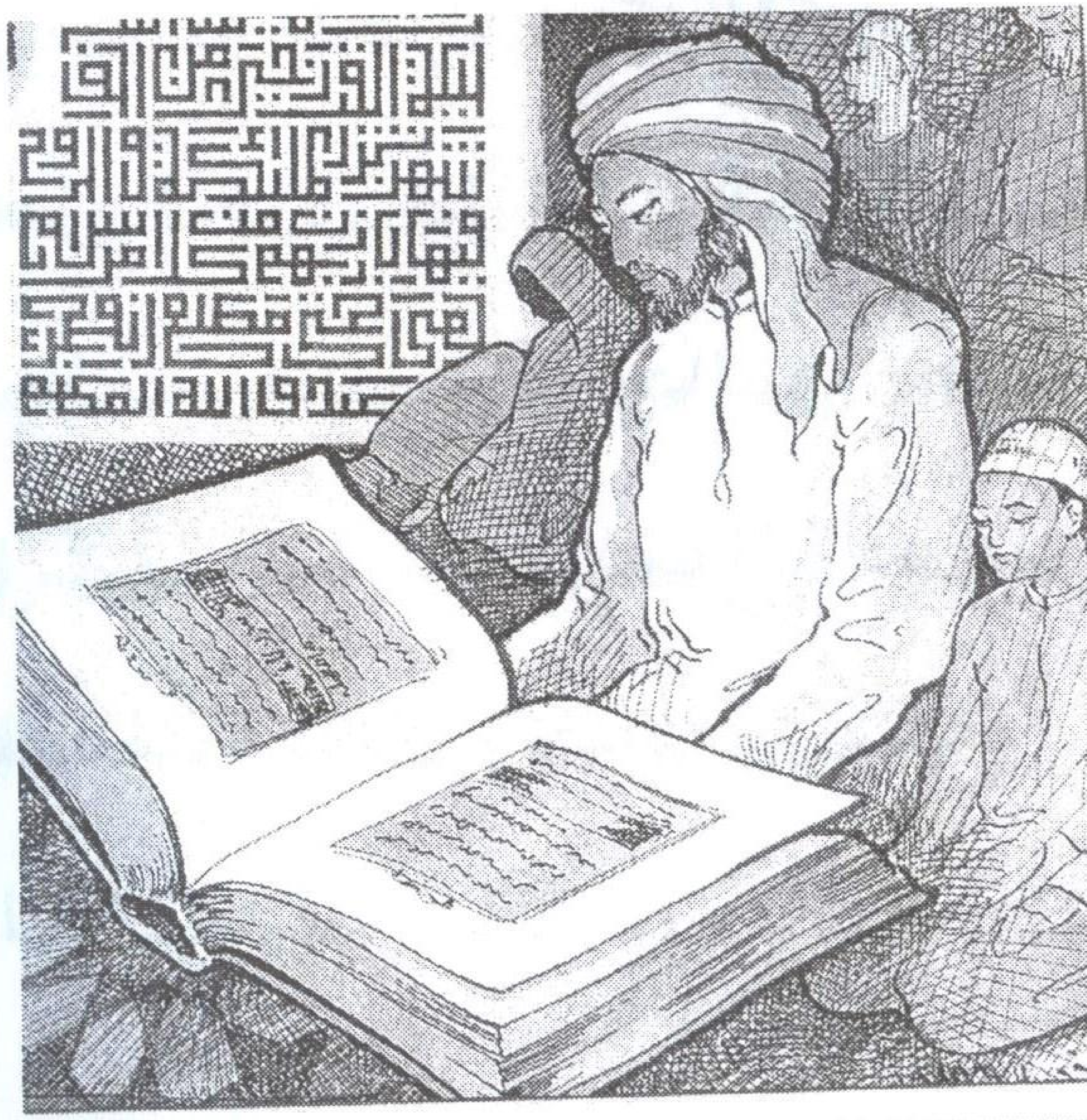

وكان الشيخ الذي تولى أمر ابن حزم وتعليمه وتثقيفه عابدًا ورعًا زاهدًا موسومًا بالخير والصلاح .

فاصطحب معه ابن حزم إلى حلقات الدرس والعلم المختلفة والمتنوعة بين حلقات القرآن والحديث والفقه واللغة والشعر .

لم يمض وقت قصير على حضور ابن حزم هذه الحلقات حتى بهر مشايخها ونال إعجابهم وتقديرهم لحسن استيعابه وفهمه وسرعة بديهته وحفظه وهو في ذلك كله لم يتجاوز العشرين من عمره .

وكان أستاذه وشيخه فى هذه الفترة من حياة ابن حزم قد اعتزم الحج فأعَدَّ نفسه لذلك ، وبينما هو في طريقه إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة ؛ وافته المنية ووصل الخبر إلى قرطبة وإلى ابن حزم فحزن حزنًا شديدًا على أستاذه ومعلمه وشيخه الذي طالما صحبه إلى حلقات الدرس ومجالس العلماء

وكان ابن حزم قد وقف على قدر كل عالم في قرطبة فاستأنف التردد على العلماء والاختلاف إلى مجالسهم ، ولكن هذه المرة كان وحده دون شيخ يصحبه أو أستاذ يُعَرِّفه بمشايخ الحلقات .

وحدث ذات مرة أن سأل ابن حزم أحد شيوخ الحلقات التي كان يحضرها ويأخذ العلم منها عن مسألة فقهية فأجابه الشيخ بجواب لم يقنعه ، فأخذ ابن حزم يحاوره ويناقشه محاولاً الوصول إلى نتيجة ترضي عقله وتتفق مع ما حفظ وحصّل من قبل .

ولكن أحد التلاميذ الحاضرين في الحلقة سَخِرَ من ابن حزم بكلمة أضحكت كل الحاضرين ، فَهَمَّ ابن حزم وقام من الحلقة وذهب إلى بيته وَعَكَفَ على دراسة الفقه ومذاهبه وعزم على إحصاء مسائله قدر ما أمكنه وتيسر له وقضى في ذلك أشهرًا .

ولما استوثق من مادته ، وَحَصَّلَ مراده وبغيته خرج إلى تلك الحلقة عينها التي سخر منه فيها أحد طلابها فَعَرَضَ لهم يناظرهم ويحاورونه

إلى أن أعجزهم عن مباراته ومجاراته ، فأبدى الجميع إعجابهم به وتقديرهم له . ومن هذه الحادثة أخذ صيته يذيع أكثر وأكثر ، وبدأ هو نفسه التأليف والتصنيف ، ومطالعة الكتب الكثيرة سواء فقهية أو تاريخية أو لغوية أو فلسفية ..

فداء : حقاً إنه عالِم عظيم يا والدي .

الوالد : نعم يا بنيتي ، إن إحساس المرء بواجبه نحو أمته ودينه يحتم [١] عليه العمل الجاد والدءوب ليقدم النفع قدر استطاعته ووسع طاقته لتلك الأمة التي ينتسب إليها وذلك الدين

(١) يحتم : يفرض .

الذي يعتنقه .

والإمام الفقيه ابن حزم الأندلسي أحس بذلك الواجب فأدى الدور المطلوب منه . فلما رأى أنه لابد أن يخدم دينه وأمته وألا يضيع عمره دون أن ينتفع وينفع ؛ أقبل على دراسة الفقه الإسلامي فأتقن دَرْسَهُ وتعلمه ، ولازَمَ علماءه وأساتذته حتى صار إمامًا فيه وألف كتابه المشهور في الفقه والذي سماه " **المُحَلَّى** " .

فداء : وهل له كتب أخرى غير هذا الكتاب يا والدي ؟

الوالد : نعم يا بنيتي فالإمام ابن حزم ترك ما يقارب الأربعمائة (٤٠٠) كتاب ورسالة ما بين كتب فقهية ، ورسائل لغوية ، وتأريخية ، وفلسفية .

ومن أشهر كتبه ومؤلفاته كتاب :

" طَوْقُ الْحَمَامَةِ فِي الأُلْفَةِ وَالأُلَّافِ "

ذلك الكتاب الذي أبدى فيه مقدرة عالية على تحليل مكنونات النفس البشرية وَسَبْرِ أَغْوَارِهَا [1] ومعرفة القدر العظيم من خباياها وأسرارها . كما دلَّ الكتاب على ما كان يتمتع به ابن حزم من حسٍّ مرهف وذوق عالٍ ورفيع . كذلك ترك لنا كتابًا آخر من أعظم الكتب وأنفعها في مجالها وهو كتاب

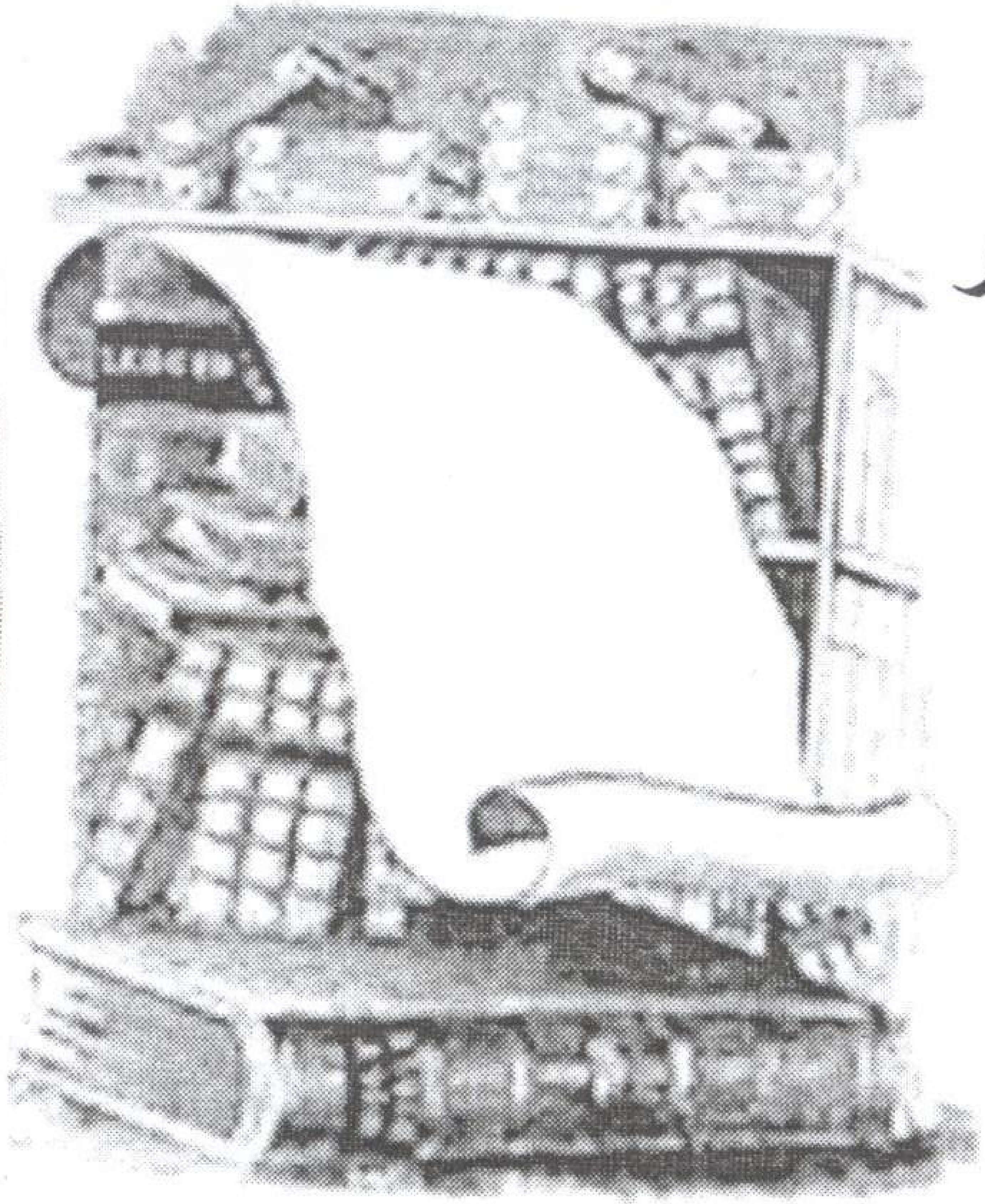

" جَمْهَرَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ "

وهو كتاب تاريخي يتناول فيه النسب العربي .

---

(١) سبر أغوارها : الوصول إلى أعماقها .

وظل ابن حزم هكذا تتقدم به السن وهو يزداد في طلب العلم لا يَفْتُرُ ولا يكل ولا يمل ، ينتقل من مدينة أندلسية جميلة إلى أخرى أعظم وأجمل منها فمن ..... قرطبة إلى ألمرية إلى بلنسية إلى ميورقة ، ... حتى بلغ السبعين من عمره ، فكانت سبعين عامًا مليئة بتحصيل العلم وتعلمه ونشره وتعليمه .

إلى أن جاءت سنة ستٍ وخمسين وأربعمائة (٤٥٦ هـ) وفي شهر شعبان من تلك السنة فاضت روحه الكريمة وتوفي رَحِمَهُ اللهُ واسمه يتردد في أركان الدنيا كلها وعلمه يَعمُّ كل الأرجاء .

فداء : لقد سطر اسمه بين العلماء يا أبي بكل ما قدم من كتب نافعة وعلمٍ يفيد به أمته ..

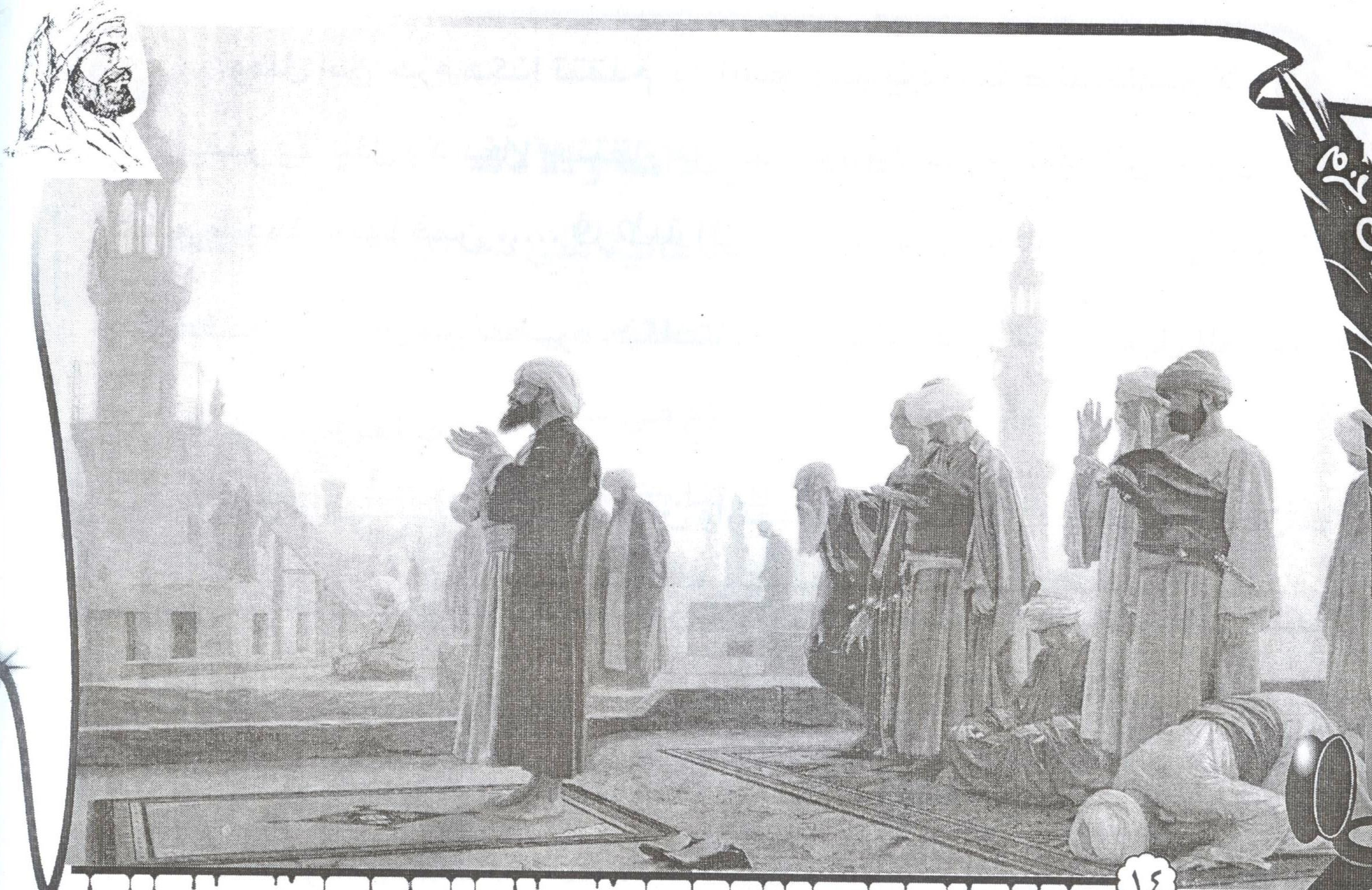

الوالد : نعم يا فداء فهؤلاء هم علماؤنا الذين يجب علينا أن نُعَرِّفَ

البشرية كلها بهم ، ونوضح

للناس جميعًا ما قدموه في

سبيل نهضة أمتهم الإسلامية .

جعلك الله من أمثال هؤلاء

يا فداء ورزقك العلم النافع

إن شاء الله .

فداء : رحمه الله يا والدي ، وغفر له وجزاه خيرًا لقاء ما بذل من جهد ووقت ومال في سبيل العلم ونشره .

الوالد : ونفعك الله يا بنيتي بسيرته وسيرة أمثاله من علماء أمتنا وعظمائها .

آمين .. آمين